ثالثا: المنهج المُقارَن:

يعتمد المنهج المُقارَن على المقارنة بين لهجتين، أو أكثر، تتفرعان عن لغة واحدة، أو بين لغتين مختلفتين أو أكثر، بشرط انتماء هاتين اللغتين أو تلك اللغات إلى أسرة لغوية واحدة، وتهدف إلى تحديد أوجه التشابه والاختلاف في المستويات اللغوية (الصوتية، الصرفية، التركيبية، الدلالية)، وتحديد صلات القرابة بين هذه اللغات بناء على المقارنة؛ وتخلص إلى تصنيف اللغات إلى أسر وفروع لغوية، والتوصل إلى اللغة الأم لكل أسرة لغوية.

فالمنهج المُقارَن دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية في اللغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة، وبيان العلاقات التاريخية بين اللغات التي تكون بينها علاقة قرابة أو تعود إلى أسرة لغوية واحدة .

فيقدم لنا النحو المقارن – على سبيل المثال – نظاماً، تُصنَّف فيه اللغات في أسرات تبعاً لخصائصها، فبمقارنة الأصوات، والصيغ، تتجلى ضروب التجديد الخاصة بكل لغة، في مقابل البقايا الباقية من حالة قديمة.

وقد يقارن عالم اللغة بعض الكلمات، كالضمائر في اللغة العربية الجنوبية، ومنها ضمائر التثنية في اللغتين السبئية والمعينية باللغة العربية الشمالية (الفصحى). أو يقارن بعض الضمائر الفينيقية كضمير المخاطبات والغائبات بنظائرها في اللغات السامية الشمالية الغربية الأخرى، كالآرامية والعبرية.

إن اكتشاف وليام جونز السنسكريتية (لغة الهند القديمة) سنة ١٧٨٦م هو السبب الأساس لظهور هذا الفرع من علوم اللغة عند الأوربيين، إذ وجّهَ الأنظار إلى الدراسة المقارنة على أسس علمية، والتي كانت نقطة تحول في الدراسة اللغوية في أوربا.

من المشهور بين الباحثين أن الدراسة اللغوية المقارنة لم توجد إلا في العصر الحديث، وبعد اكتشاف اللغة السنسكريتية. يقول محمد الأنطاكي: (لم يفطن أحد إلى وجود القرابة بين كل هذه الألسن، ولم يظهر المنهج المقارن إلا بعد العثور على اللسان السنسكريتي).

وهذه المقولة على الرغم من شيوعها ليست صحيحة، على الأقل بالنسبة للدراسات العربية. فقد وجدت منذ القرن العاشر الميلادي "الرابع الهجري" دراسات مقارنة عقدها لغويون متخصصون، معظمهم في المغرب والأندلس، وهم مسلمون ويهود، وقد سجلوا دراساتهم باللغة العربية.

صنَّفَ المنهج المقارن اللغات إلى أسر أو مجموعات، أهمها:

١. اللغات الهند أوربية: تضم عددا كبيرا من اللغات المنتشرة في منطقة شاسعة من الهند وإيران إلى أوربا.
٢. اللغات السامية: تشمل العربية والعبرية والآرامية والأكادية والحبشية.

وإلى جانب هاتين الأسرتين الكبيرتين هناك أسر لغوية كثيرة أخرى.

وقد قسمت اللغات هذه التقسيمات بناء على مقارنات بينها أثبتت أن هناك أوجه شبه بينها على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي، مما يعني أن اللغات المنتمية إلى الأسرة نفسها قد انحدرت من أصل واحد مشترك تفرعت عنه لغات الأسرة كلها.

أما عن مرامي علم اللغة المقارن في أوربا فيمكن إجمالها في ما يأتي:

١. الرؤية التاريخية : بغرض التوصل إلى اللغة الأقدم تاريخيا واللغة الأحدث.
٢. البحث عن القوانين التي تفسر الظواهر اللغوية: مثلما نجد في قانون Jacob Grimm الذي أجرى عدداً من البحوث التطبيقية الصوتية، قارنَ فيها بين بعض اللغات. ومن بين ما توصل إليه أن هناك تبادلاً بين اللغات في ما يتعلق بحرفي (f) و (p) مثلا الكلمة اللاتينية patsr (أب)، تحوّل فيها حرف p إلى f في الإنجليزية (father) بينما ظل كما هو في الفرنسية (père).
٣. محاولة التصنيف والتبويب للغات: مثلما يفعل علماء النبات للنباتات المتنوعة.